

الحلقة الثانية  
قصص السيرة

الْقَصَصُ الدِّينِيُّ

عَبْدُ الْمَطْلَبِ  
جَدُّ النَّبِيِّ

عبد الحميد جودة السحار

٢

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ \* أَلَمْ  
يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ \* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا  
أَبَابِيلَ \* تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ \* فَجَعَلَهُمْ  
كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ .

« قرآن کریم »

نشأ شبيبةً بينَ أخواله في المدينة ، وكان جميلاً  
مهيباً، يعرفُ أنه ابنُ هاشم بن عبد مناف ، وأنه من  
ذلك البيتِ الكريم الذي يسودُ قریشا ، ويتولَّى  
شرفَ البيتِ المقدس في مكّة ، ويسقى الحجاج ،  
ويُطعمُ الفقراءَ والمساكين منهم . كان يعرفُ قدرَ  
نفسه ، فكانَ على الرغم من موتِ أبيه ، مرفوعَ  
الرأس ، ناصعَ الجبين .

خرجَ يلعبُ مع الفتیان في أحد الأيام ، وكان  
أحبُّ اللّعبِ إليه الرّماية ، فدعا أبناءَ أخواله إلى  
مباراةٍ في رمي السّهام ، فاصطفَ الفتیانُ أمامَ هدفٍ  
صغير في مثل الكف ؛ ومرّ رجل ، فوقف يرقُبُ  
المباراةَ من بعيد .



أَخَذَ الْفَتْيَانُ يَرْمُونَ سَهَامَهُمْ ، فَاخْطَنُوا الْهَدَفَ ؛  
وَتَقَدَّمَ شَيْبَةُ ، فَوَضَعَ سَهْمَهُ فِي قَوْسِهِ ، وَأَطْلَقَهُ  
فَأَصَابَ الْهَدَفَ ؛ ثُمَّ وَضَعَ سَهْمًا آخَرَ وَصَوَّبَهُ ،  
فَأَصَابَ مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَهَزَّهَ الْفَرَحَ ، وَصَاحَ مَفَاخِرًا :  
- أَنَا ابْنُ هَاشِمٍ ، أَنَا ابْنُ سَيِّدِ الْبَطْحَاءِ ، ( الْأَرْضُ  
الْمُسْتَوِيَّةُ الَّتِي بَدَاخِلُ مَكَّةَ ) .

وَارْتَسَمَتْ عَلَى شَفَتَيِ الرَّجُلِ الذِّي يَرُقُبُ الْمُبَارَاةَ  
مِنْ بَعِيدِ ابْتِسَامَةٍ ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

٢

وَلِيَ الْمُطَّلِبُ السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ ، بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ  
هَاشِمٍ ، وَكَانَ الْمُطَّلِبُ شَرِيفًا ، وَسَيِّدًا مُطَاعًا فِي  
قَوْمِهِ ، وَكَانَ يُمَضَى النَّهَارُ فِي الْكَعْبَةِ ، فَقَدْ بَدَأَ  
مَوْسَمُ الْحَجِّ ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ عَلَى الْحُجَّاجِ .

وبينما المطلبُ فى مجلسِه ، إذ أقبلَ عليه ذلكَ  
الرجلُ ، الذى شهدَ مباراةَ الرّمايةِ بين شَيْبَةٍ وأبناء  
أخواله ، وكان قادمًا من يَثْرِب ( المدينة ) إلى مكة  
للحج ، قال :

- لو رأيتَ ابنَ أخيكَ شَيْبَةَ فينا ، لرأيتَ جمالاً  
وهيبَةً وشرفاً ، لقد نظرتُ إليه وهو يُبارى فتياناً فى  
رمى السَّهام ، ويقولُ كلُّما أصابَ الهدفَ : أنا ابنُ  
سيدِّ البطحاء .

فرفعَ المطلبُ رأسَه وقال :

- لا أُمسى حتى أخرجَ إليه فأقدِّمَ به .

فقال الرجلُ :

- ما أرى سَلْمى ( أمّه ) تتركُه لك ولا أخواله .

فقال المطلبُ فى عزمٍ :

- ما كنتُ لأدعُه هناك ، ويتركُ مآثرَ قومِه ،  
ومكانتَه ونسبَه وشرفَه .

وما جاء الليل حتى كان المطلب يركبُ جملة ،  
ويذهبُ في الطريقِ إلى يثرب ( المدينة ) ، ليعودَ  
بشَيْبَةَ ابنِ أخيه هاشم ، ليشبُّ بين أهله ، وفي بيتِ  
هاشم العَظيم .

٣

وصلَ المطلبُ إلى يثرب ، وجعل يسألُ عن شَيْبَةَ ،  
حتى اهتدى إليه ، فوجدَه يلعبُ بين فتيانِ فَعْرَفَه  
وضمَّه إليه ، وجعلَ يقبُّله ويقولُ له : إِنَّه عمُّه .  
وذكرَ له المطلبُ أنه جاءَ ليعيدهُ إلى قومه ، فقال  
شَيْبَةُ :

- لابدَّ أن تأذنَ لى أُمِّي .

وذهبا إلى سَلَمَى ، فقالَ لها المطلبُ :

- جئت أقبضُ ابنَ أخى ، وألحقه ببلده وقومه .

فقالت سلمى وهى تضمُ شيبَةَ إليها :

- لا . لستُ بمُرْسَلَةٍ معك ، إنه ابنى .

فقال المطلب فى إصرار :

- لن أذهبَ حتى آخذه معى ، إنه ابنُ أخى ،

ونحنُ أهلُ بيتٍ شريفٍ فى قومنا ، والمقامُ ببلده خيرٌ

له من المقام ههنا ، وهو ابنك حيثُ كان .

فقالت سلمى وهى تنظرُ إلى ابنها :

- دعْنى ثلاثةَ أيَّامٍ أفكر .

ومرَّت الأيامُ وسلمى تفكّر . إنَّ فراقَ ابنها

يَحْزُنُها ، ولكنَّ مصلحتَه فى أن يكونَ بين قومِه .

وأخيراً غلبتْ مصلحةُ ابنها على حُبِّها ؛ فلما عادَ

المطلبُ بعد انقضاء الأيام الثلاثة ، أذِنَتْ له فى أن

يأخذه ، فركبَ المطلبُ جمَلَه ، وأركبَ شيبَةَ خَلْفَه ،

وخرج إلى مكَّة ، وسلمى تنظرُ إلى ابنها وقد ملأتْ

الدموعُ عينيها .



٤

كان الوقتُ ظهراً عندما دخلَ المطلبُ مكة ،  
وهو راكبٌ جمَلَه ، وخلفه شِيبةٌ ، فلما رآهما الناسُ  
حَسَبُوا أَنَّ المطلبَ اشترى له عبداً ، فراحُوا يُشيرُونَ  
إلى شِيبةٍ ويقولون :

— عبدُ المطلب ... عبدُ المطلب .

فصاح المطلبُ بهم :

— وَيَحْكُم ! إِنَّمَا هُوَ ابْنُ أَخِي هَاشِم ، قَدِمْتُ بِهِ

من المدينة .

ودخلَ المطلبُ بيته ، وألبسَ شِيبةَ حُلَّةً جديدةً ،

وخرجَ به إلى الناس ، وقال :

— هَذَا شِيبةُ ابْنِ أَخِي هَاشِم ، عُدْتُ بِهِ مِنْ

المدينة .



فنظر الناسُ إلى شَيْبَةٍ ، فوجدوه يُشْبِهُ أَبَاهُ ،  
فقالوا :

- ابْنُهُ . ابْنُهُ وَلَا شَكَّ .

ولكنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوهُ بِشَيْبَةٍ ، بَلْ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ « عَبْدَ  
المطلب » .

## ٥

خرجَ المطلبُ تاجراً إلى أرضِ اليَمَنِ ، فماتَ  
هناكَ ، فَوَلَّى الرِّفَادَةَ والسَّقَايَةَ بعده عَبْدُ المطلبِ ،  
كَانَ يَسْقِي الحَجَّاجَ بِمَكَّةَ فِي حِياضٍ مِنَ الجِلْدِ ،  
وَكَانَ يَتَعَبُ فِي جَلْبِ الماءِ إلى هَذِهِ الحِياضِ . وَفِي  
ذاتِ يَوْمٍ نَامَ فِي الحَرَمِ ، فَرَأَى مِنْ يَقُولُ لَهُ : احْفَرُ  
زَمْزَمَ . فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَفْهَمْ ذَلِكَ الحُلْمَ ، لِأَنَّهُ لَمْ

يكن يعرف ما زمزم ؟ لأن زمزم كانت قد طُمّت  
بالرّمال واختفت .

وفى اليوم التالى نام فى الحرم ، فجاءه الهاتف ،  
وقال له :

- احفر زمزم .

فقال عبدُ المطلب :

- وما زمزم ؟

- تسقى الحجيج الأعظم .

وهداه الهاتف إلى مكانها . فلما استيقظ ، دعا ابنه  
الحارث ، ولم يكن له ولدٌ غيره ، وقال له : إنه أمرٌ  
بحفر زمزم ، وذهباً يحفران الأرض ، ورأى أنه وابنه  
قِلّة ، فنذر لئن أكمل الله له عشرة ذكور حتى  
يراهم ، أن يذبح أحدهم ، وفى اليوم الثالث ،  
اهتدى عبدُ المطلب إلى الماء ، فجاءه الناسُ وقالوا له :  
- أشركنا فيه .

فقال لهم عبدُ المطلب .

- ما أنا بفاعِل ، هذا أمرٌ خُصِصْتُ به دونكم ،  
فاجعلُوا بيننا وبينكم من شِئْتُمْ أحاكمكم إليه .  
واختارُوا حكماً . وخرج مع عبدِ المطلبِ  
عشرون رجلاً من بنى عبد مناف ، وخرجت قريشٌ  
بعشرين رجلاً من قبائلها ، وفيما هم فى الطريق ،  
نفدَ الماء ، فعطشُوا ، فجاءُوا إلى عبدِ المطلب ،  
وقالوا :

- ماذا ترى ؟

فقال عبدُ المطلب :

- هُو الموت . فليحفر كلُّ رجلٍ منكم حفرةً  
لنفسه ، فكلما مات رجلٌ دفنته أصحابه .  
وراحُوا يحفرون قبورهم ، ثم قعدُوا ينتظرون  
الموت ، ورأى عبدُ المطلب أنَّ من العجز أن  
يستسلمُوا ، فقام وركب جملة ، وأخذ يبحث عن

ماء في الصحراء ، وفيما هو في سيره ، إذ انفجرت  
تحت خفّ جملة عين ماء عذب فشرب عبد المطلب ،  
ونادى أصحابه ، فشربوا حتى ارتووا .

ونظر الرجال إليه في إكبار ، وقالوا :  
- قد قضى لك علينا . الذي سقاك هذا الماء بهذه  
الصحراء ، هو الذي سقاك زمزم ، فوالله  
لا نخاصمك فيها أبدا .

ورجع عبد المطلب ، ورجعوا معه ، وأصبحت  
زمزم له وحده ، فترك السقي في الحياض بمكة ،  
وسقى الحجاج من زمزم .

٦

كان أبرهة الأشرم رجلاً من الحبشة ، قتل ملك  
اليمن ، واستولى على ملكه ، ورأى الناس يتجهزون  
أيام الموسم ، للحج إلى بيت الله الحرام ، فسأل :



- أين يذهبُ الناس ؟

- يَحْجُونَ بَيْتَ اللَّهِ بِمَكَّةَ .

- ما هو ؟

- من حِجَارَةٍ .

- لأَبْنَيْنِ لَكُمْ خَيْرًا مِنْهُ .

فَبَنَى لَهُم بَيْتًا عَمِلَهُ بِالرَّخَامِ الْأَبْيَضِ وَالْأَحْمَرِ  
وَالْأَصْفَرِ وَحَلَّاهُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَجَعَلَ لَهُ أَبْوَابًا  
عَلَيْهَا صَفَائِحُ الذَّهَبِ وَلَطَّخَ جُدْرَانَهُ بِالْمِسْكِ ، وَأَمَرَ  
النَّاسَ أَنْ يَحْجَوْهُ ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَمْ يَذْهَبُوا إِلَيْهِ .  
كَانُوا يَعِظُمُونَ الْكَعْبَةَ ، فَلَمْ يَرْضَوْا بِهَا بَدِيلًا .

فَتَضَائِقَ أَبْرَهَةَ ، وَعَزِمَ عَلَى هَدْمِ الْكَعْبَةِ ، فَجَهَّزَ  
جَيْشًا ، وَجَعَلَ أَمَامَهُ فِيلًا عَظِيمًا ، وَخَرَجَ مِنَ  
الْيَمَنِ ، وَسَارَ إِلَى مَكَّةَ ، وَفِي طَرِيقِهِ خَرَجَ إِلَيْهِ  
الْعَرَبُ يُحَارِبُونَهُ ، فَكَانَ يَهْزِمُهُمْ ، وَيَنْتَصِرُ عَلَيْهِمْ ،  
وَاسْتَمَرَ فِي سِيرِهِ حَتَّى دَخَلَ مَكَّةَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى

إِبْلِ لِعَبْدِ الْمُطَّلَبِ .

واجتمع الناسُ خائفين يسألونَ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ ماذا يفعلون ؟ فقال لهم : إنهم لا يستطيعونَ قِتَالَ أبرهة ، فعليهم أن يهرَّبُوا منه في الجبال ، وأغضبَ الناسَ أن يهدِمَ أبرهةَ بيَّتَهُم المقدس ، ولكنهم كانوا أضعفَ من أن يحاربوه لينقذُوا الكعبة ، فصعدوا في الجبال ، وفي قلوبهم حزنٌ عميق .

وذهبَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ ، وكان أوسَمَ الناسِ وأجملَهم وأعظمهم ، يقابلُ أبرهةَ ، فلما رآه أبرهةُ أجَلَّهُ وأعظمه وأكرمَه ، وقال لترجمانه :

- قل له : ما حاجتك ؟

فقال عَبْدُ الْمُطَّلَبِ :

- حاجتي أن يرُدَّ عليَّ الملكُ مائتي بعيرٍ أصابها

لى :

فقال أبرهةُ في إنكار :

— أَتُكَلِّمُنِي فِي مَائِي بَعِيرٍ أَخَذْتُهَا مِنْكَ ،  
وَلَا تُكَلِّمُنِي فِي بَيْتٍ هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ ، قَدْ  
جِئْتُ لِهَدْمِهِ !؟

فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي أَطْمَئِنَّانَ :

— إِنِّي رَبُّ الْإِبِلِ ، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَحْمِيهِ .  
وَخَرَجَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ، وَذَهَبَ هُوَ وَأَهْلُهُ إِلَى  
الْجِبَالِ ، يَنْظُرُونَ مَا سَيَفْعَلُهُ أَبْرَهَةُ بِمَكَّةَ .  
وَأَقْبَلَ أَبْرَهَةُ فِي جَيْشِهِ الْعَظِيمِ ، وَالْفِيلُ أَمَامَهُ ،  
وَسَارَ إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَالْعَرَبُ يَنْظُرُونَ مِنْ فَوْقِ الْجِبَالِ ،  
وَفِي صُدُورِهِمْ حُزْنٌ ، وَإِذَا بِطَيْرٍ يُقْبِلُ مِنْ نَاحِيَةِ  
الْبَحْرِ جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ ، وَيُلْقِي عَلَى جَيْشِ أَبْرَهَةَ  
حِجَارَةً ، فَانْتَشَرَ الْجُدَرِيُّ وَالْحَصْبَةُ بَيْنَ الْجَيْشِ ،  
وَرَأَتْ أَعْضَاءُ الْجُنُودِ تَسْقُطُ عُضْوًا عُضْوًا ، فَلَمَّا  
رَأَى أَبْرَهَةُ ذَلِكَ فَرَّ ، وَرَأَى الْعَرَبُ خُرُوجَ الْجَيْشِ  
الْغَازِي هَارِبًا ، فَهَبَطُوا مِنَ الْجِبَالِ ، وَانْطَلَقُوا إِلَى

الكعبة ، يقدّمون إلى الله فروض الشكر . وصدق  
عبد المطلب ، فقد كان للبيت ربّهما ومنعه .  
وفى هذا العام ، عام الفيل ، وُلد محمد بن عبد  
الله ، بن عبد المطلب .